تجليات اِسْتِدْعاء المقدَّس الدِّيني في شعر ياس السعيدي

م. د. محمد حسن عباس بخيت الزيدي
المديرية العامة لتربية محافظة واسط – وزارة التربية

ملخص البحث:
تمثل الشِّعريَّة المتألقة سيرورة دائمة، وحركة مستمرة، ورؤى متنوعة ومتغيرة، وصور تستمد ديمومتها من العمق الإنساني الذي يمدُّ الإبداع بعوامل التجدد والاتِّساع والانفتاح على ميادين إبداعية مختلفة ، من هنا يمكن تبرير اختلاف مضامين نصوص الشاعر ياس السعيدي، وتنوع مصادرها وأنواعها وانفتاحها على دلالات مختلفة ، والنص المقدس كالقرآن الكريم وقصص الأنبياء والألفاظ والشخصيات التي شاع تقديسها بين الناس، تمثل بمجموعها فضاءً من أبرز الفضاءات الشعرية التي جادت بها قريحته، وأحدثت صدىً كبير في مسيرته الشعرية ، ليس على مستوى التشكيل النصّيّ والصورة الشعرية فحسب ، بل حتى على مستوى الرؤية، والأفق الشعري، والرغبة في المغايرة والاختلاف الناتج عن ثقافة قرآنية لا يستهان بها.
وقد سلّط هذا البحث الضوء على تجليات استدعاء الشاعر للمقدس الديني في أعماله الشعرية الموسومة " كالحجارة أو أشد قسوة" التي ضمّت ثلاثة دووابن والصادرة في العام ٢٠١٩ عن المكتبة الأدبية المختصة في النجف الأشرف.يهدف البحث إلى تقصّي استدعاء المقدس في ثلاثة حقول هي " آيات القرآن وقصص الأنبياء والألفاظ المقدسة"، وخلص إلى ما يمكن وصفه نجاحاً للشاعر في توظيفه للمقدس، بالكيفية التي جعلته أكثر قرباً من المتلقي برؤية عميقة، واقتصاد لغوي، وتَدَفُّق عاطفي وحس مُرهَف.

الكلمات المفتاحية: ياس السعيدي– المقدس– نِتاج– الشخصية المقدسة

Definitely, brilliant poetics represents a permanent process, continuous movement, diverse and changing visions, and a rhythm that derives its permanence from the human depth that provides creativity with factors of renewal, breadth and openness to different creative fields. The sacred text represented by the Holy Qur'an, the stories of the prophets and the

issued in the year 2019 by the specialized literary library in Najaf, which included three collections of the poet
The research organized the investigation of the invocation of the sacred in three fields: “the verses of the Qur’an, the stories of the prophets, and the sacred words,” and concluded what can be described as the poet’s success in employing the sacred in a way that brings him closer to the recipient with a deep vision, linguistic economy, emotional flow and delicate sense.

words that were widely sanctified among the people is one of the most prominent poetic spaces that the poet’s Qur’aia devoted and that made a great resonance in his poetic career, not only on the level of textual formation, but on the level of vision, poetic horizon, and the desire for different The difference resulting from the Qur'anic culture is not to be underestimated
This research will shed light on the manifestations of the poet's invocation of the religious sanctuary in his poetic works called "As a storne or harsher",

المقدمة

يغوص هذا البحث في كُنْه الكشف والتحليل داخل جزئية مهمة من جزئيات الإبداع العربي على مرِّ الأزمان، تتمثل في إظهار تجليات استدعاء المقدس الديني في الشعر، تلك اتقانة حظيت باهتمام الشعراء واستطاعت أن تجد لها مكانة مهمة في تاريخ الشعر العراقي المعاصر على وجه الخصوص، والشاعر المعاصر" ياس السعيدي" واحد من أولئك الشعراء الذين نجحوا في التأسيس لأساليب ومعان جديدة، وعبَّرت عن هموم العامة خير تعبير، ونجحت في التأثير بالمتلقي.

ولأن منجزه يشكل أهمية كبيرة في الساحة الشعرية العراقية ، لتضمنه استدعاءً وتأثراً ملحوظين في توظيف المقدس الديني عبر فاعليتي الحضور النصّيِّ والتحول، تولدت الرغبة في الكتابة عنه، ليكون الحديث عن حضور المقدس في الشعر واستجلاء مظاهر التوظيف ودلالاته هو لبُّ هذا البحث. الذي انطلقت خطته من الإضاءة على ماهية المقدس كمفهوم لغوي واصطلاحي ، وسلطت الضوء على سيرة الشاعر الذاتية ومنجزه الإبداعي، كما تناولت دراسة أنواع المقدس كآيات القرآن الكريم وقصص الأنبياء والألفاظ والشخصيات المقدسة في نتاجه الشعري، الذي ضمَّ قصائد عمودية وأخرى من نصوص شعر التفعيلة.

وقد حرص الباحث على تتبعها وتفكيكها والوقوف على المقدس ودواعي توظيفه فيها،

ومحاولة تحليل دلالتها الموضوعية ، موظفاً في سبيل إنجاح ذلك المنهج التحليلي الوصفي لتذوّق النص الشعري، وإبراز أثره وروعته، وتوضيح مغزاه، والكشف عن أهم المؤثرات التي كوّنت شخصية الشاعر.

أولاً: المقدس مفهوماً لغوياً واصطلاحياً

للمقدس في اللغة مفاهيم كثيرة ومتعددة، فالتقديس يعني التّطهير ، ومن تقدَّس صار مطهَّراً ، وهكذا فالأرض المقدَّسة هي الأرض المطهَّرة" (١) والتقديس وفقاً لما يقوله ابن منظور" هو تنزيه الله عزوجل، وكذا الطهارة والتقديس والبركة" (٢)، ويقال القدوس: فعول من القدس، وهو الطهارة، والتقديس البركة.والمُقدَّس، هو اسم مفعول من قدَّسَ، والمقدَّس شيء مبارك يبعث في النّفس احترامًا وهيبة، ولا يرقى إليه النقد" فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى"(٣)، وتختلف القُدسيّة وفقاً لاختلاف الديانات والمذاهب، فالقرآن والكعبة ومسجد الرسول وغير ذلك من الأماكن تعدُّ من المقدسات عند المسلمين، وكذا العهد القديم عند اليهود، ومجموع العهدين عند النصارى.

يختلف العامة في تقديس الأشياء حتى في داخل الدين الواحد، فبيت المَقْدِس والمسجد الأقصى وكربلاء والنجف وغيرها من الأماكن يعتقد جزء من الناس بقدسيتها، فالمقدَّس– كما يراه العامة– هو ما "يتجلى دوما على أنه واقع من نظام آخر غير نظام الوقائع الطبيعية" (٤).

والاعتقاد بالمقدسات أمر موجود في مختلف الديانات والمذاهب، ويتخذ أشكالاً متعددة بحسب الثقافات والحضارات الحاضنة، فهو حالة من الطهر يُسبغها الإنسان على الإله، أو الإله على الإنسان.ومن البديهي أن يقدّس المسلمون بعض الأماكن والشخصيات والملائكة ، لأنها من شعائر الله التي أشعر الناس بعظمة شأنها، فالمسلم لا يقدِّس شيئاً لم يقدسه شرع الله تعالى، وأما ما عظَّم الله شأنه كبيت المقدس وكالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وكالأنبياء الكرام، فكل هذا مقدس عند المسلمين نظرا لتعظيمه من الله ، وعليه فالتقديس مصطلح يدل على معنى التنزيه والتطهير والتبريك بدليل عقلي وطبقاً لتصوّرات عقلانية، فمثلاً "الله" كينونة مقدّسة، لأننا لا نفهمه ولا ندرك ذاته ولا كُنهه" (٥)، والتعالي عن الفهم من أوضح واضحات المقدس وأوصافه، لكن هذا الوصف لا يمكن أن يكون بشكل مطلق. إنَّ كل ما يأتينا من الله والرسول والصالحين يأتي من مقدس لدينا، ولامجال أمام إبداء الرأي بأي شكل كان، بل يجب أن يكون التصديق والتسليم مصداقاً لقوله تعالى "وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً "وربما هذا ما يجعل من الأنبياء بمعزل عن النقد ، فقناعتنا بأقوالهم

تنطلق من كونهم مقدسين، ولا شيء غير ذلك، لأن الترابط بين الدين والمقدس هو ما أضفى على المقدس تعقيداً وغموضاً

وينبغي التذكير أن المقدس والدين لا يمكن لهما أن ينفكا، فهما متلازمان تاريخياً وعقدياً، فالدين تضفى عليه المقدسات، ومنذ فجر التاريخ لا يمكن لأحدنا أن يتصوَّر دينا بلا مقدس .

وحتى على مستوى الإبداع الشعري فحينما تمتزج الذات الشاعرة بالمقدَّس تُحدث تمازجاً دينياً وتاريخياً وأدبياً ، ينبعث من هذا التمازج خطٌ إبداعيٌّ يديم الامتداد بين الإنسان والقِيم الإيمانية التي تربط الإنسان بدينه وعقيدته ، ليتحقق من هذا التفاعل تأثر الذات الشاعرة بسياقها الروحي.

وللمقدس في الشعر حضوره العميق على مستوى الموضوع والفكرة والصورة ، وربما وجد فيه الشعراء تعلّقاً روحياً آمناً لأرواحهم المتألمة الباحثة عن الراحة والانتماء؛ ولذلك تراهم يلتقطون من فضاءه القدسي صوراً لا ينضب معينها ، ربما لكونه يعبِّر عن وعي الإنسان بأهمية الصلة بين السماء والأرض، وعلاقتهما بوجوده .

ثانياً: السعيدي، سيرة ومحطات

هو ياس جياد زويد السعيدي من مواليد محافظة ديالى ١٩٨٢، نال شهادة البكالوريوس في اللغة الفرنسية من كلية اللغات بجامعة بغداد في العام ٢٠٠٥ ، شارك في العديد من المسابقات والأنشطة الشعرية ، كما أسهم مع مجموعة من الشعراء العراقيين في تأسيس نادي الشعر في اتّحاد الأدباء العراقيين عام ٢٠٠٥ ، وترأس دورته الخامسة في ٢٠٠٩ ، صدرت له مجموعة شعرية مطبوعة بعنوان " تضاريس من جغرافيا الروح " ، وصدرت له عن دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة في العام ٢٠٠٦ مسرحية مطبوعة بعنوان "ذاكرة الرجال المرقطين " .

وفي العام ٢٠١٢ عادت دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة لتُصدر له مجموعة شعرية أخرى مطبوعة بعنوان " سجادة من حرير العناء "، وفي العام ٢٠١٨ صدر للسعيدي عن المكتبة الأدبية المختصة في النجف الأشرف الجزء الأول من أعماله الشعرية التي اسماها " كالحجارة أو أشد قسوة" . وفي العام ٢٠١٩ صدر له عن دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة "سيرة القيامات" وهي مجموعة قصصية ، كما وصدرت ٢٠١٩ مجموعته الشعرية بعنوان (دروب) عن دار ابسكوس في ايطاليا ، وخلال سيرته الإبداعية حصل الشاعر على مراكز متقدمة، ونال أوسمة قيِّمة، وهي كالآتي:

- نال المركز الأول عن جائزة سحر البيان من شبكة الإعلام العراقي- فرع الشعر / بغداد ٢٠٠٦ .

- المركز الأول / جائزة الشارقة للإبداع العربي – فرع الشعر / الشارقة _ الدورة العاشرة ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ عن مجموعته الشعرية " تضاريس من جغرافيا الروح".
- حاز على ميدالية الرئيس الايطالي من جائزة كاستيو دي دوينو العالمية للشعر / ترستي ٢٠٠٩ عن قصيدته " زخرفة في ذاكرة المتسكع العجوز"
- فاز بالمركز الأول في مسابقات جائزة الشارقة للإبداع العربي / فرع المسرح / الشارقة –الدورة ١٦ / ٢٠١٢ – ٢٠١٣ عن مسرحيته " ذاكرة الرجال المُرقَّطين"
- نال المركز الأول في جائزة هيئة النزاهة العراقية لقصيدة الطفل _ العراق ٢٠١٣ عن قصيدته " قلَّ ودلّا"
- فاز المركز الأول في الشعر عن مجموعته الشعرية " قمر الكلام " في جائزة الابداع العربي / من المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم " الكسو"
- فاز بالمركز الاول في جائزة سعيد فياض للإبداع الشعري التي اقيمت في بيروت ٢٠١٥ عن مجموعته "في البريد السري "
- فاز بالمركز الاول في مسابقة المكتبة الأدبية المختصة في العام ٢٠١٦ عن قصيدته "حرز البارود" .
- نال جائزة افرابيا من مجلس التعاون العربي الافريقي في الخرطوم لعام ٢٠١٦
- حصل على جائزة فدوى طوقان من مؤسسة فلسطين الدولية في عمان في العام ٢٠١٧ عن مجموعته الشعرية "قطعتان من حلوى الأنين" .
- حصد المركز الثاني في جائزة الهيئة العربية للمسرح – فرع المسرح الموجه للطفل المقامة في الشارقة في العام ٢٠١٧.
- حصل على المركز الثالث في جائزة الشارقة للإبداع العربي فرع القصة عن مجموعته القصصية (سيرة القيامات) الشارقة ٢٠١٩ .

أنواع الاستدعاء المقدَّس

- **آيات القرآن الكريم**

ظلَّ التأثّر بالقرآن الكريم من أبرز سمات الخطاب الشعري العربي في الماضي والحاضر، ومن أدق خصائص بنيته التركيبية والدلالية واللغوية، وأضحى توظيفه وتداخله في أبنية النصوص الشعرية مستمداً من صلة مختزنة في أذهان الشعراء، والتقت جذور أغلب النصوص الشعرية في مختلف حقول التوظيف، لتؤكد البعد الزماني والمكاني لها، وتثري طاقاتها التأثيرية .

ويبدو أن حرص الشعراء على النَّهَل من معين التوظيف القرآني نابع من حرصهم على أن تبقى تلك النصوص متوهجة في مخيلة المتلقي، كونه يرى فيها امتداداً لتراث الآباء والأجداد ، منطلقاً من الوعي الذي يتمتع به والأهمية التي يكنُّها لذلك التراث ،

حتى صار "يستعذب من الشعر ما يدهشه، لا الذي يكرر ما تمجه أحاسيسه" (٦) .

يسعى الشاعر عبر التوظيف منح النص عمقاً وشمولية، وشحناً بالدلالات، للتأثير في المتلقي وكسب استحسانه، مستفيداً مما يتمتع به النص الديني من حضور وتأثير خاص في الوعي الجمعي، وما يؤديه من دور فاعل في إثراء النص الشعري.

يمثل التناص بشكل عام واستدعاء المقدس واحدة من أبرز التقنيات الفنية التي نالت عناية الشعراء واحتفوا بها؛ كونها تمنح النصوص ثراء معرفياً ونأياً عن حدود المباشرة في الخطاب، وهذه التقنية هي الأكثر انتشاراً بين شعراء عصرنا الذين أحسنوا توظيفها في القصيدة التقليدية، ونظيرتها الحداثية.اهتمّ الشاعر ياس السعيدي بهذه التقنية وطوّر أدواته، واستلهم الأفكار والمعاني من النص القرآني في إضفاء جمالية خاصة على اللفظ والمعنى ، وتقديم صورة جميلة لقوالب التناص الديني، تقترب وتبتعد عن المصدر الأصلي، وذلك بتسخير المعنى أو اللفظ القديم خدمة للغرض الذي كتب من أجله النص، بعدما يستقي من آيات القرآن المجيد ما يعبر عن دواخل الذات الشاعرة.

ففي قصيدته "حصى المواعيد" يبدو ظلال سورة القصص" **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**" (٧) وقصة سيدنا موسى، وكيف ألقته أمه في اليمِّ خوفاً عليه، واضحة في المضمون الشعري الذي يعبّر عن تجربة فيها من المآسي واللوعة ما يرهق كاهلها، ولذلك يستحضر الشاعر تلك الآية ليستلهم منها ما يدل على معاني التجربة الشخصية ووصفها بشكل أكثر تأثيراً في المتلقي ، فالطفل دلالة على الفرح المنتظر، لكن حتى الحلم الذي ينتظره السعيدي كلما لاح وصار قريباً من التحقق حدث ما يقتل ذلك الطموح ، لتتضح براعة التوظيف القرآني في إكساب المعنى المراد عمقاً وتفاعلاً ومنحه قدرة فنية قادرة على الإحاطة"(٨) .

لكن مع كل هذه السوداوية الغالبة في الخلق الشعري، يبقى الشاعر السومري المهوس بالحزن محتاجاً- ولو نفسياً- إلى ناي حزين يخفف بعضاً من أوجاعه، فيقول: (٩).

أَكلَّمَا اخْضَرَّ طِفلٌ في سُهُولِ يَدِي/ أَوْحَيتُ للرُّوحِ أَنْ أَلقِيهِ في اليَمِّ
أَحْتَاجُ لَدْغَةَ نَايٍ تَصْطَفِي تَعَبِي / وَقَدْ أُقَايِضُ هَذا العُمْرَ بِالسُّمِّ

ومن الملاحظ أنه أجاد حينما تعامل مع الناي على أساس وجعه النفسي الناتج من تراكمات اجتماعية مرهقة ، وليس لحاجة طربية كما يشاع في باب تحريمه في الأدبيات الإسلامية .

ومما يستملح لبعض الشعراء ويستجاد، سعيهم إلى حشد النص الشعري بدلالات قرآنية ونفسية ذات إحساس عالٍ، لتؤدي دوراً في إثارة احاسيس وعواطف المتلقي، وكل تلك الألفاظ التي تكوَّن النصوص الشعرية تقرأ وكأنها مرتبطة بتجارب ومواقف شعورية، والشاعر يسعى الى تأصيلها في نفوس متلقيه، بعد تضمينها صراعاً لا يستكين .

ولم يكن الشاعر مكتفياً باستدعاء المقدس فحسب، بل حرص على استعراض ما يعانيه أبناء جلدته من ضنك العيش، فاتحاً النص الشعري على تأويلات وقراءات عدة عبر تقنية التناص، لكن من دون أن يؤثر بالمطلق دلالياً على مضمون النص القرآني ، فعندما يوظِّف قصة الفتيين اللذين طلبا من سيدنا يوسف في سجن عزيز مصر تأويل رؤياهما، ربما يريد الإشارة إلى أن في الحياة خيارين لا ثالث لهما ، الموت كمداً، أو العيش بلا كرامة قرب السلطان، لكن مع هذه الحقيقة المرة يلمِّح السعيدي بأن صراعه وأبناء جلدته مع الحياة وصعوباتها أفقده كلا الخيارين، فلا موت مخلِّص مما هم فيه، ولا حياة مريحة، ولذلك اسودَّت بوجهه الدنيا حتى صار يواجه صعوبات الحياة بمفرده، ويبدو أن الشاعر حينما تحدَّث بضمير المتكلم أراد التعبير عن المجموع ، فيقول: (١٠) .

حَمَلتُ بِدَايَتي وَمَضَيتُ فَرْداً/ لأَنْدبَ خَصْرَها المَقْتُولَ صَبْرا
فلا العُصْفُورُ يَأكُلُ خبزَ رأسي/ ولا ربُّ السَّجِينِ يُرِيدُ خَمْرَا
أَلُوْنُ ما تَبَقَّى مِنْ فَرَاغِي/ وأَغْزِلُ من رموشِ القَحْطِ نَهْراً

ويُستشف من نصوص الشاعر رغبته في أن يستوحي من قصة سيدنا سليمان وجنوده من الإنس والجن والطير والدواب، وكيف أمرهم بالسير بطيئاً في صفوف منتظمة أثناء مرورهم بواد يسكنه النمل ، بعدما سمع صوت تلك النملة التي حذرت النمل في الدخول إلى بيوتها حتى لا يسحقها سليمان وجنوده دون أن يشعروا ، رغبة الشاعر في

ادخال النصوص القرآنية إلى التجربة الشعرية بوصفها مفتاحًا من المفاتيح الكاشفة عن عالم التجربة الداخلي، نبعٌ ثريٌ لتمويل الصور الشعرية وبلاغتها العالية، والتعبير عن مكنونات النفس الإنسانية، نبعٌ لا يجد غيره السعيدي ارتواءً ، فهو خزين هائل يوظفه في التعبير عن الكفاح والمعاناة اللذين عاناهما ، وأديا دورًا بارزًا في إثراء نصوصه الشعرية وإضاءتها، بعيداً عن الركاكة والإسفاف لفظاً ومعنى.

ففي أجواء قصة سيدنا سليمان يجد الشاعر مجالاً رحباً للتعبير عن الأحوال التي عاشها وشدة المحن وتقلبات زمانه، موظفاً لغة بسيطة وبناء شعري قوي وملائمة في السياق ، مؤكداً رغبة الشعراء واستهوائهم لتوظيف آيات القرآن لما تحوي من دلالات الفداء والاستبسال والمثالية، وبما تحمله من قدر كبير من التراجيديا والدراما التي اغرت الشعراء بتبنيها فنياً، واستثمار ما فيها من طاقات دالة على منعطفات الحياة الإنسانية.

إنَّ الشاعر وإن كان في معرض التذكير بحياة البؤس والقتل والفاقة التي عاشها طيلة سنين عمره الثلاثين التي قضاها بجانب النهر، يظهر وكأنه معاتباً ظروفه وأحواله العسيرة ، فهي لم تكن رحيمة به كما كان النبي سليمان رحيماً بالنمل الذي يستعير صورته وهو يستعرض حال الفقراء الذين لا يجدون في حياتهم غير التسليم لمصائب الدنيا ومحنها ، فيقول:(١١).

فَيا وَقْتُ لَمْ تُشْبِهْ سُلَيمانَ مَرَّةً / وَجَيْشُكَ لَمْ يَعْبَأْ بِتَمْتَمَةِ النَّمْلِ
ثَلاثُونَ قُرْبِ النَّهْرِ أُسْقَى خَنَاجِراً / فتُوَرِقُ أَزْهَارِي على ضِفَةِ النَّصْلِ

ومن الملاحظ أن نصوص الشاعر تتسم بالصنعة البديعية المعتمدة ، لرغبته في إنضاج أدواته الشعرية وتطويرها بما يتلاءم وطموحه في بلوغ أعلى مراتب الخلق الشعري.

ولا يمكن أن ينحصر التأثر في القرآن الكريم على فئة شعرية بعينها، ولا مرحلة زمنية عن أخرى، فقد كان القرآن ولايزال معيناً للشعراء يغترفون منه دُرراً وحكماً متى شاءوا ، فهو من أهم المصادر التي استقوا منها صورهم وموضوعاتهم، وحلقوا بواسطتها في عوالم رحبة، مستخدمين ظاهرة التناص الذي ميَّز نتاجهم الشعري بمميزات دلالية وفنية صيَّرته قريباً من أذواق العامة واستحسانهم ، والشاعر إذ يشكو حال نهر مدينته " النهروان" وكيف تعرّض للجفاف عبر تقنية القناع؛ فأنه يستعرض ما آلت إليه أحوال المدينة وأهلها في ظل إنعدام قوانين العدالة

الاجتماعية، وتسلّط المنتفعين والسارقين، وكأنه يجري محاورة بين النهر الظمآن ومن تسبب بحرمانه، فيقول: (١٢).

نَصٌ يُراوِدُها عَنْ سِرِّ ضحكَتِها/ أقُصُّ أَطْرافَهُ الحُبْلى فَيَسْتَشْري
وأَلفَ لَيلةِ قدْرٍ كُنْتُ أَلهُمُهُ/ وكان يَكْفُرُ حتى مَطْلَعِ الفَجْرِ
والآنَ أَحْمِلُ قَيْظَ الأرضِ في جَسَدي/ وما تبقى بِكأسِ القلبِ مِنْ خَمْرِ

وعلى هذا المنوال من الرقة والإصالة والجودة يمضي السعيدي بنسج أوجاعه ومآسيه، مستلهماً آيات القرآن ومدلولاتها النفسية والاجتماعية ، ليصيُّر لها دوراً في إضفاء حيوية على تجربته الشعرية، وإكسابها عمقًا وتفاعلاً يُضفي على نصوصه ثَرَاءً صورياً وبلاغياً.ويبدو أنّ الشاعر لم يكن موفَّقاً حتى مع عشيقته التي ما أن رأها يوماً حتى ذكر النبي وقرأ (سورة طه) التي تصف بشاشة وجهه ومكانته عند الله، على العكس مما هي عليه ، فهي ما أن تراه حتى تقرأ سورة العاديات التي تتحدث عن الخيل والصحراء وساحات المعارك ، وثمة فرق بين المدلولين، ليثير التوظيف القرآني في جمال معشوقته أصواتاً وأحاسيساً ومشاعراً تؤكد استجابة العامل العاطفي ، فيقول: (١٣).

هَرِمَ الصَّبرُ يا منَايَايّ قُولي/ أرَدَى الدِّهرِ أَتَّقِي أَم رَدَاهَا
تَقْرَأُ العادياتِ لمَّا ترانِي/ وأرَى حُسنَها فأَقرَأُ طَهَ

وفي نصٍ شعري مميّز فيه قدر كبير من الخيال الخصب، والخلق الشعري الراكز، والثقافة القرآنية العالية، يعبِّر الشاعر عن واقع صعب يعيشه ، مستدعياً معنىً مغايراً عن مضمون الآية الكريمة التي تصف أحوال أهل الجنة، وكيف يجابوا عما يشتهون بأمر الله (١٤) . ففي استعارة بلاغية معبِّرة لا يجد السعيدي غير الحبر والورق ليفرغ فيهما رحيقه المر، فهما خير مستودع لما يجول بخاطره ، فهو لا يجد غير الصبر وسيلة لديمومة العيش مع روح مرهقة، طارحاً ذلك في مضمون فكري يختلف كثيراً عن المضمون القرآني، وهو يستدعي قوله تعالى " **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** "(١٥) ليعكس قدرة على التوفيق بين المضمونين القرآني والشعري، وإحداث نسق خاص بينهما ، فيقول (١٦) :

وَنُهْدِي الرَّحِيقَ المُرَّ في ليلِ فَقْدِنَا / إلى شَهْقَةٍ لِلحبرِ بِالعُمْرِ مُحدِقَةْ
أَنا ابْنُ الَّذينَ اسْتَلْهَمُوا الصَّبرَ آيةً/ وأَخِرُ دعْوَاهُمْ أَن الرُّوحَ مُرْهَقَةْ

وإذا كان الشعر فناً صناعياً فما يميزه عن سائر الصناعات تفرد الشعراء في صناعة قوالبهم كيف شاءوا، فالتفرد وفقاً لما يريده المبدعون من الشعراء يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً .

من هنا قد يلجأ بعض الشعراء إلى توظيف النصوص الدينية ، منطلقين من حقيقة مفادها أن " توظيف تلك النصوص يعدُّ من أنجع الوسائل في عملية الخلق الشعري، لخاصية جوهرية فيها تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، وهي مما ينزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره، فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنص إلا إذا كان دينيا" (١٧)

ففي قصيدته (عن الجرح والبداية) يبدو ظلال التناص واستدعاء الألفاظ القرآنية ظاهراً في النص الشعري الذي يشكو فيه الشاعر جفاف نهر مدينته، بألفاظ ذات دلالات دينية ، محاولاً استغلال ما فيها من طاقات ودلالات موحية ، متصرفاً فيها بما يكفل الأداء الجيد والتعبير الواقعي. أداء يبتعد عن التكلف والغموض وطمس معالم شخصيته وإفناء تجربته الشعرية، وربما وجد الشاعر في الآية " **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**"(١٨) من الدقة في الاستعمال وصفاً وتعبيراً، ما أُملى عليه استحضارها، فيقول(١٩).

يا أَوْسَطَ العُمْرِ عانِقْ أَرْذَلَ الحُزْنِ/ وأَشْعِل اللغةَ الجَرْداءَ بالمُزْنِ
عُمْرٌ مِنْ الشَّكِّ خانَتْني أواخِرُهُ / بأُمِ عَينِي أَرَى سَاَعاتِه تَزْنِي

- **استدعاء قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم.**

يمثل استدعاء قصص الأنبياء وما عانوه مع أممهم السالفة رافداً من روافد التجربة الشعرية للشاعر ياس السعيدي الذي تجلّى الخطاب المقدَّس واضحاً في تشكيل فضاءه الشعري، وربما وجد في هذا الاستدعاء مهرباً من الذاتية نحو العمومية، ومناسبة لإثراء نصوصه، بعدما جعل من تلك القصص نقطة انطلاق نحو طرح ما يود قوله، ومن الواضح أن سعي الشاعر لإسقاط ملامح شخصيات الأنبياء وتجاربهم على نصوصه

الشعرية، نابع من رغبته في إعادة النظر بتعالق اسماءهم مرة بالتصريح، وأخرى بالتلميح، لينتج نصوصاً شعرية تحمل معانٍ جديدة .

وثمة من يلاحظ أن نصوص السعيدي تكشف عن طبيعة التوتر الذي يعانيه، وتعكس قلقه، وتأزمه، وانفعاله، إزاء ما يتعرض له وأبناء جلدته من أحوال قاهرة ومريرة ، وما يسود بلده من استبداد وبغي ومصادرة للحريات. وفي استحضاره القصص القرآني متأثراً بقصة سيدنا يوسف الصديق، وما جرى عليه في حادثة البئر الذي أُلقي فيه، يختزل الشاعر من مضمون القصة دلالات عميقة تطرح معاناته الذاتية ومكابداته الآنية ، وتفجير دلالات جديدة على مستوى الإبداع ، وبهذا ينجح توظيف المقدس في رسم معالم واقع جديد مختلف له القدرة على خلق الأجواء الإيحائية (٢٠).

وفي استعارة بلاغية قيمتها المبالغة في التعبير، يوظِّف الشاعر قصة النبي لتأكيد أن ما عاينه من المحن والويلات جعله كيوسف، يعرف المصائب– البئر– جيداً ، فلا وحي يؤنسه ولا من مخفف لآلامه ، مختزلاً قصة الصدِّيق في التعبير عن المعاناة الذاتية، عبر وعي حضاري يُفضي إلى طبيعة ما يعانيه . ولم يكتف الشاعر من النص الشعري في التعبير عن تلك الصورة الاستعارية ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فحتى الصحراء التي يفترض أن تكون ساحة لمُهرِه، انقلبت معادلتها ، وصارت أضلاعها هي من تعيق حركة المُهر وليس العكس، ليطرح بذلك اجتهاداً إبداعياً في اختيار الحادثة المقدسة دينياً، وتوظيفها في إظهار واقعه النفسي المنهار، فهو في تَيْه كبير، لا وحي يؤنسه ، ولا صحراء تسع لمُهَره ، ومن ذلك قوله: (٢١) .

بِي يُوْسُفٌ مُوجَعٌ لا وَحْيَ يُؤْنِسُه/ فلا تُجَادِلْ دَمِي في وَحْشَةِ البِئْرِ
وَبِي مِنْ التِّيهِ تَغْفُو رِحْلَةُ امرأةٍ / أضْلاعُ صَحْرَائِها دَاَستْ على مُهرِي

وينبغي التذكير إن استدعاء الشعراء لما في القرآن من دُرَر لم يكن مجرد اقتباس أو تضمين أو تأثر بقصة قرآنية معينة ، بل هو تفاعل دائم مع ممارسات دلالية متماسكة ذات اتصال وثيق بالواقع، يجسد من خلالها الشعراء همومهم ومعاناتهم بوصفها معادلاً موضوعياً لحالة أبناء جلدتهم.

ومهما أوتي الشعراء من مهارات فنية في حبّك النصوص الشعرية وانضاجها، فلا يمكن – كما نعتقد– الاستغناء عن التناص في الخطاب الشعري بوصفه نظرية شغلت

الساحة الأدبية، وآلية ضرورية انطلقت" لرسم صورة شعرية حديثة مستمدة من منابع دينية مختلفة كالقرآن والسنة بالإضافة إلى منابع أخرى؛ ليحصل التوالد والتعالق بين النص الأصلي والنص المراد كتابته، فيحصل الانصهار الفني الانفراد والتميز" (٢٢). وعندما يريد الشاعر رثاء أبيه الميت، فهو لا يتردد في ذكر مساوئ السلطة التي لا تُوْلِي اهتماماً برعاياها، مستفيداً من النصوص المقتبسة من القرآن التي يصيغها في إطارٍ ونصٍ جديدين. ويتضح أن استلهام الشاعر لقصص الانبياء يتطلب منه أن لا يكتفي بنصوص الآيات، بل يضيف لها دلالات جديدة تتناسب والواقع الذي يرسمه والمخاطب الذي يكتب اليه، فهو يستدعي مع قصص الأنبياء مفردات قرآنية منفردة أو مقترنة بلفظة أخرى **كـ" العرجون القديم، لا أحب الآفلين ، إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ"** لينجح الشاعر عبر امتصاصه لمضامين لتلك الدوال في تصوير الجانب الأسود والشقي من حياة بني البشر على هذه البسيطة، ويبدع في إنتاج خلق شعري يحيل على مزيد من المعاني العميقة، ويزيد نصه ثراء وجمالية، ويبعده عن السطحية .

وليس هذا فحسب ، بل ثمة من يلاحظ في القصص القرآنية الموظفة في نصوصه قيمومتها على الموت والأُفول، وذلك طبيعي، فالحركة عنصر فاعل في النص، وهي التي ترصد أبعاد الحياة، وتبث فيها الحيوية والاستمرار ، لكن ليس مع السعيدي الذي يخاطب (والده) الذي قضى ومات كعرجون قديم، بعد أن بلغ به المرض مبلغاً عظيماً، لكن مع كل ما تحمله والد الشاعر من ويلات المرض والفاقة والعوز، يأتي الابن ليؤكد رغبة نفسية غريبة وهي ذبح أبيه، لكن عبر القصيدة ، ليوظف بذلك قصة سيدنا إبراهيم مع ذبيح الله إسماعيل، في إطار مقاربة شعرية مع الواقع، وكأنه يضع أباه موضع ذبيح الله إسماعيل، مستمداً من قوله تعالى " **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** " (٢٣) ما يلبي رغبته في تحقيق ذلك، فيقول:(٢٤)

كَمْ كُنتُ ظالماً لأَنَّني لمْ أَكُنْ أُحبُّ الآباءَ الموتَى
وَلأَنَّني حِينَ رَأَيْتُكَ تَأَفَّلُ كَعُرجُونٍ قَدِيمٍ
صَرَخْتُ بِصُوَرِتِكَ لا أُحبُ الآفِلِين
فَيَا أبَتِ إنِّي أَرَى في القَصِيدةِ أَنِّي أَذْبَحُكَ

وعندما يريد الشاعر إضفاء تصوير نفسي واجتماعي على نصِّه الشعري، فأنه يستدعي قصة سيدنا سليمان وهدهده ، ليعبِّر من خلالها عن حال نهر مدينته وما أصابه بسبب الجفاف ، فأحزانه الناتجة عن الهموم والفقد والغربة يعيشها وهو خاضع تحت تأثير ما آلت إليه أحوال مدينته وصوتها الهزءُ ، فيغدو خاضعاً مسلِّماً لملكوت الحزن وسطوته وخسارة الحياة والرغبة.وليس بمقدور الشاعر التخلي عن مدينته التي طرّزت وجهه بالتجاعيد وأضحت مخنوقة الصوت، لكنه كلما اطمئن واستبشر بحال أفضل ، سرعان ما يجد نفسه متوهماً وسط واقع مغاير، فمدينته لم تكن كَسَبأ وهدهد سليمان الذي عاد منها بنبأ يقين ، فثمة فرق بين الحقيقة والوهم ، وهو بذلك يحيلنا لتوظيف قصة النبي ومدلولها القرآني" **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**" (٢٥)، ليستثمر من قصة سليمان أهمية اشاعة ثقافة الحوار والسلم، وكيف أسهم ذلك في تجيب النبي معركة واقعة لا محالة ، لتكشف الطاقة الرمزية للقصة تعبيراً دلالياً عن هذا المضمون، فيقول: (٢٦).

وَطَرَّزَتْ بالتَّجَاعِيدِ التي كَبُرَتْ وَجْهِي/ وَيَعْبَثُ بِاسمِي صَوْتُها الهَزِئُ
وَكُلَّمَا بَزَغَتْ أَرْضٌ لِتَجْرَحَنِي/ يَصِيحُ هُدْهُدُ وَهْمِي إِنَّهَا سَبَأُ

وتتداخل أبيات الشاعر في قصيدته (يحدث الآن) مع نصوص الآيات القرآنية تداخلاً إيحائياً، فيصب هذا التداخل في تعزيز المعاني وشحنها صوراً ودلالة ، إذ تكشف العلاقة بين نصوص الشاعر والقرآن الكريم طبيعة البعد الديني لشخصيته الفاعلة ، وإيمانه المطلق بما جاء في القرآن ، فهو يستحضر الآيات في أصعب المواقف وأشدها للتغلب على ضعفه وخوفه وحتى شوقه العظيم لمن يحب، وكأنما يعزز نفسه بنفحات إيمانية تقوّيها وتعطيها دافعاً للمواجهة والتعاطي مع من تعيش، فللقرآن ثراؤه واتساعه، وفيه يجد الشعراء ما يحتاجوه من رموز تعبّر عما يريدون قوله ، من غير حاجة إلى الشرح والتفصيل ، فهو مادة راسخة في الذاكرة الجمعية لعامة المسلمين بكل ما يحويه (٢٧). ومرة أخرى تتجلى الذكريات المريرة الممزوجة بالبكاء الدائم في نصوص السعيدي الذي يُظهر تعلقاً بالمدينة التي عاش في كنفها، لكن ما أن ينجح في

التصبّر على الواقع وتناسي وجع الذكريات، حتى يقع ما يُجهز على ذلكِ التَّصَبُّر، وهو بذلك يستحضر قصة ثمود وناقة صالح ، ليغدو النص متواشجاً ومتماهياً مع النسيج القرآني في قوله تعالى" **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا** "(٢٨)، فيقول: (٢٩).

وَبِكَأْسِ البُكاءِ أُغْرِقُ وَقْتِي/ أَشْرَبُ الذِّكْرَياتِ آهاً فآها
كُلَّمَا أَبْصَرَتْ ثَمُودُ بِقَلْبَي/ نَاقَةَ الصَّبْرِ أَرْسَلَتْ أَشْقَاها

إنَّ احساس الشاعر بضيق واقعه يبدو أنه دفعه للبحث ولو – نفسياً– عن أفاق رحبة لكسر ذلك الواقع والتغلب على قهره واستلابه، ولذلك بدا الشاعر من خلال نصوصه ثائراً ضد كل من يحاول إلحاق الأذى بأبناء جلدته، غير مهتم بما دون ذلك؛ بعد أن تغيّرت بفعل الحكام وسياساتهم معالم المدينة التي يحبها ويهواها، فلم يستهويه– كما هو شائع في أوساط العامة– تمجيد من لا يستحق ذلك.ويختلف الاستدعاء القرآني من كونه تقنية شعرية من شاعر إلى آخر، لكن مع كل تقنيات الاستدعاء المقدس يبقى المهم هي الكيفية التي يستطيع فيها المبدع توظيف النص المقدَّس ليصبح جزءاً من نسيج نصه الشعري، أو لبنة من لبناته .
وتكشف القراءة الفاحصة لنتاج الشاعر ياس السعيدي عن رغبة حقيقية لخلق صورة شعرية خاصة، تُدهش المتلقي وتماهي بين الصورتين الشعرية والقرآنية . ففي معرض تصوير الشاعر لمعاناة أبناء بلدته بعد جفاف نهر المدينة التي يسكنها، يظهر السعيدي مؤمنا بقدره، منتظراً لرحمه الله وغير مبتئس، ليبدو ظلال قصة نوح واضحة في قوله تعالى " **وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**"(٣٠) مستحضراً قصة النبي نوح ، وكيف استعجل قومه نقمة الله بهم وعذابه لهم، وكيف طلب من ربه أن لا يذر على الأرض من الكافرين ديارا، فأوحى الله اليه " **أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِن مِنْ قَوْمك إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ** " **فَلَا تَحْزَن عَلَيْهِمْ وَلَا يَهُمَنَّك أَمْرهمْ** ، فقال: (٣١) .

وَقَالَ المُغَنُّونَ أَيْضاً

بِأَنَّ السَّماءَ
سَتُرْسِلُ غَيْماً
يُظَلِّلُ أحْلامَنا
والجِهاتُ سَتَعْرِفُنا
ذاتَ يَوْمٍ
فَلا تَبْتَئِسْ
وانْطَلِقْ نَحْوَ حَرْفِكَ
فالحَرْفُ زاد

وبعد أن وصف الشاعر عواطفه الصادقة تجاه ذلك النهر الذي يعيش في ذاكرة من كان يعيش بقربه، استطرد واصفاً حبه للكتابة والبوح ، فهي زاد المبدعين، وديمومة صبرهم المرير في وصف ومجابهة ما يعانوه يومياً.

- **الألفاظ والشخصيات المقدَّسة**

أفاد الشاعر كثيراً من غنى وشيوع وتداول استدعاءه للمقدس وتوظيفه ، فعبر به نحو خلق لغة تتجاوز محدوديتها ، وعلى الرغم من استعصاء وصعوبة لي عنق اللفظ المقدس كما يريد الشاعر ، إلا أن غاياته نتاج تحقيق الحداثة التي تمثل عقلية حديثة تبدلت نظرتها للأشياء تبدلاً جذرياً وحقيقياً انعكس في تعبير جديد(٣٢)، من هنا يمكن التأكيد على أن توظيف كل ماله علاقة بالقرآن يخفف من وطأة الواقع المرير، فصورة التراث الإسلامي" صورة رامزة للواقع المستفز بهموم القضايا السياسية، وفيها تصبح اللوحة التأثيرية مزيجاً لصور معبرة يمتزج فيها الماضي بالحاضر" (٣٣).

وحينما يريد الشاعر التّغني بقدسية النجف وضريحها و(الربيون)، فهو يعيد رسم الألوان والدلالات والمعاني انطلاقا من التمثل المقدَّس للذات المشبعة بقيم جمالية جديدة، فالتغني بالنجف وإمامها يمثل عنده ثورة لاستجلاء القيم العقدية والتعبير عما يعتقده من قدسية لأمير المؤمنين علي(ع) إزاء اشتراطات اجتماعية وسياسية وعقدية قاسية، وكأن الشاعر يحاول الهرب من واقع السكينة والرتابة في عملية الخلق الشعري، إلى عالم المقدَّس حيث الطُّهر والنقاء والثبات على المتبنيات، فما أضرحة من نحب من ائمتنا إلاّ في مستودع القلوب، ولها يرخص كلُّ غالٍ، فيقول: (٣٤).

خَرَائِطُ الثَّلْجِ أَنْسَتْكُمْ مَرَارَتُكم / كُنَّا نُلَمْلِمُ جُرْحَاً اِسْمُهُ النَّجَفُ
قُلُوبُ أَهْلِي بِهَا الدَّقَّاتُ أَضْرِحَةٌ/ وَكُلَّمَا اهْتَزَّ جُرْحٌ قُبَّةً نَزَفُوا
بلا نبيٍّ وَربِّيُّون صَبْرُهُمُ/ أَقْدَامُهُمْ ثُبِّتتْ وَالموتُ يَرْتَجِفُوا

ويكشف النص الشعري عن مدى تعلُّق الشاعر بالإمام علي(ع) ديناً وسلوكاً وأخلاقاً ومبادئً ليتضح قلقه وانفعاله إزاء ما يتعرض له وطنه من نهب ممنهج لخيراته، فهو من الشخصيات المقدَّسة التي تُثري خياله الخصب وطاقاته التأثرية، وتكشف عن تدبر واعٍ لمواقفها وتعاطيها مع الآخر.وحينما يتغنى الشاعر بصفات الإمام "علي" ومنزلته وقربه من رسول الله ودوره في نشر تعاليم الدين، فأنه يكشف عن براعة توظيف المفردة المقدسة، واستخدامها استخداماً منسجماً مع معتقداته، لتعبِّر امكانياته الإبداعية في الخلق الشعري عن مزج معرفي بين الماضي والحاضر، فيقول: (٣٥).

وَنَدْرِي بِأَنَّكَ نَهْرُ النَّقَاءِ/ وأَنَّكَ مِنْ زَيْفِهِمْ أَطْوَلُ
وَنَدْرِيكَ كُنْتَ جَوَابَ الإِلَهِ/ وَكَمْ سِرْتَ في الأَرضِ لا تُسألُ
وَيُرْعِبُكَ الصِّبْيةُ الجَائِعُونَ/ وَبَيْنَ الأَسِنَّةِ تَسْتَبْسِلُ

ومن مدح أمير المؤمنين (علي) إلى نهر المدينة مجدداً ، يواصل الشاعر استدعاءه للمفردة المقدسة باعتماد أسلوب التحوير، مع حرص في الحفاظ على قدسيتها ، حتى بدا ذلك أسلوباً من أساليبه الشعرية القائمة على ما ينسجم مع سياق النص الشعري وفضائه العام، وكأن الصورة الشعرية المستمدة من الألفاظ المقدسة تمثل قواماً من البنية العميقة لأي نص شعري ، فكل الأجناس الأدبية تُظهر اهتماماً بالصورة الشعرية، لكنها تختلف في التعامل معها كما وكيفا، وموضوعاً ودلالة ، وهذه هي" الوظيفة الأيديولوجية التي تتمحور بالخطاب التنويري أو الأخلاقي أو المذهبي الذي يحمله المبدع في عباراته وطريقه تعاطيه مع الأحداث والاتجاه الفكري الذي يدعو إليه كل عمل إبداعي" (٣٦) .

لقد أضحى الحديث عن انتاج الصورة الشعرية عبر المقدَّس من أبرز خصائص الشعر المعاصر بوصفه "فعالية لغوية تخرج اللغة من بُعدها الإنشائي إلى البعد المجازي التصوري ، بمعنى أنها علاقة لغوية متولدة "(٣٧) ، ويحرص الشاعر وهو يشكو ما آل إليه حال نهر المدينة على عقد مقارنة بين

النبي وما تعرض إليه من حاشيته وقومه ، وبين النهر الذي أنزله منزلة النبي الذي ساومه قومه حتى على النوايا، لكن مع ذلك يؤمن بأن لهذا النبي– النهر– كرامة لا بد وأن يظهر أثرها يوما ما، يقول: (٣٨).

لَهُ مِن بَرْدِ رِحْلتِهِ سَريرٌ/ وأَحلامٌ تَزَوَّجَها الطَّلاقُ
تُساوِمُهُ قُريشُ على النَّوايَا/ فيا آياتِهِ أَينَ البُراقُ

وفي نص آخر يحاول الشاعر الوقوف على إطلال مدينته " النهروان" بعد جفاف نهرها، فيوظف قوله تعالى" **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**" (٣٩) توظيفاً حسناً دلاليا، لكنه على غير ما جاء في النهي القرآني ، ليسترفد الشاعر من منهل القرآن وما فيه وسيلة للتعبير عن حال المدينة وحكامها الذين فشلوا في تحقيق ما تمنى سكنتها من حياة كريمة وعيش شريف، فالشاعر يرفض أن يكون متواضعاً لمن أسهم في تدمير البلاد والعباد اللذين رمز لهما بالمدينة ونهرها ، بل يجد الميل بوجهه نحوهم عُجْباً وكِبْراً ، خير رد على ما اقترفوه ، فيقول: (٤٠).

أَطُوفُ البَرْدَ أَبْحَثُ عَنْ مَزيدٍ / لأَمْلأَ شَهْوَةَ الأَوْرَاقِ جَمْرَا
أُصَعِّرُ للمَدِينَةِ سِرَّ خَدِّي/ فَطَعْمُ شِفَاهِهَا ما عَادَ سِرًّا

وتتفرع المعاني والصور والمواقف الفكرية وحتى تداعيات الحياة اليومية المستمدة من القرآن في قصائد الشاعر السعيدي في جزئيات متعددة، لكنها سرعان ما تعود لتلتقي تحت دلالات الألفاظ المقدسة وانعكاساتها، لتكوِّن مركز الدلالات في النص الشعري ، وتجسدت هذه الحالة في التغني بالنفس الإنسانية وبساطة ما تتطلع إليه، ليكون اللفظ المقدس المركز في المعنى والموضوع والبناء الشعري، قطب الرحى في الفكرة التي يريد الشاعر تسويقها للمتلقي، ومن ذلك قوله: (٤١).

أَجِبْ أُغْنِياتِي فالتَّفاصِيلُ مُحْرِقَةْ/ وَآخِرُ أَحْلاَمِ العَصَافِيرِ زَقْزَقَة
وَفَسِّر صَلاَتِي والنَّهارَاتِ في دَمِي/ صَلاَتِي رَحيلٌ والتَّفَاسِيرُ ضَيِّقَة

يمثل التعلق بالشخصية المقدسة واستدعاءها واحداً من آليات الشعر قديماً وحاضراً، وربما هي محاولة لإعادة الوصل بين الشاعر والمتلقي الذين عانيا من قطيعة وفقدان في البوصلة، فإعادة صياغة الخطاب الشعري، والبحث عن عوالم هادفة يريدها المتلقي؛ والاستمتاع بخيالها الإبداعي دون التورط في الفوضى الفكرية واللغوية التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، هي ما يتطلع إليها شعراء العصر الحديث ، وبالتالي فإنّ استدعاء الشاعر للشخصيات المقدسة واستثمارها كرموز لها إطارها الزمكاني، وطريقة توظيفها هو مناط الابتكار والتميز، ويبقى على الشاعر عبء انتقاء جماليات الاستدعاء والتوليف بينها وبين العناصر الأخرى في النص الشعري وتثوير ما به من طاقات دلالية ايحائية، فتوظيف الشاعر للمقدس، يقتضي الوعي بدوره الحضاري، وإدراك كيفية تفجير ما في تلك الشخصيات من طاقة ايحائية معبرة عن التجربة الشخصية والإنسانية معا.

ويتضح أن السعيدي كما غيره من الشعراء تستهويه شخصيات الملائكة المعنوية ، لما لها من غناء وثراء وطُهر، ولذلك لا يتردد بالتعلق بمثل تلك الشخصيات إذا ما عاش مواقف محزنة ، على الأقل لاستثمار ما فيها من طاقة معنوية، لذلك لا يجدُ الشاعر بُداً من التعلق بالملك جبرائيل في محاولة للتخلص مما هو فيه، فالسعيدي الذي يظهر آيِساً من واقع لا يمكن إصلاحه، يبدو وكأنما يطلب من نفسه الاستعداد للموت وعدم الخوف منه ، ففي جسده العتيق من النار والأسماء والذكريات ما يجعله متحملاً للمكابدة والمعاناة ، مستدعياً لفظ المقدس في قصيدة النار والأسماء ، فيقول: (٤٢).

للنَّار والأَسماءِ
في جسديِ العتيقِ
حكايةٌ
لا
لا تَخَافي
أنا كَمْ
تمنَّيتُ النّهاية
قادِمٌ
يا جُنّحَ جبرائيلَ رفرِفْ

إنَّ هذا الموتَ كافي

وتغدو الكتابة الشعرية ترجماناً حقيقياً لكل ما يمثل تراثاً ومعتقداً في ثقافة الأديب ، سواء أكان شاعراً أم ناثراً، فهو لا ينطلق من فراغ في كتابة نصوصه، بل يتماهى مع ما يتناسب ورؤاه العقدية والفنية، حتى أصبح الشعراء على يقين بأن صلة القراء بقصائدهم تكبر وتضعف وتنقطع تبعاً للمباشرة وما يتلاءم مع متبناتيهم. من هذه الزاوية يمكن تبرير حرص الشاعر على حشد نصوصه بمفردات كبيرة ذات بعد ديني ، لامتصاص دلالاتها وإعطاء خطابه الشعري قيمة فنية وتأثير عميق في نفس المتلقي ، فهو إذ يوظِّف هذا النوع من الألفاظ ذات الوهج الثوري والعقدي، فإنه يروم استغلال ما فيها من طاقات وقِيَم تعينه على تحمل الواقع المرير الذي وجد نفسه فيه بسبب تسلط الفاسدين ، فهو يظهر شاكياً واقعه المرير لإمامه علي الذي دافع عن الأمة حتى قتل بسببها ، موظفاً هو دارج في أوساط العامة حينما يقسمون على الآخر بعبارة "عليك علي" في نص شعري راكز لثني ما يود تحقيقه، عبر زاوية المعتقد المذهبي ، فيقول (٤٣)

سَلاماً لِعرْضِكَ لَمَّا يُصَانُ / سَلاماً لِعُمْرِكَ إِذْ يُبْدَلُ
إِذَا استَحْلَفَتْكَ عُيُونُ الصِّغَارِ/ "عَلِيٌّ عَلَيكَ" فَهَلْ تَرْحَلُ

تعكس الصورة الشعرية التي تأتي متناصة مع القرآن الكريم معان متنوعة لاتقف عند حدود معنى معين، وهو ما ينسجم مع قول الجاحظ "ثم اعلم أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لان المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير غاية، وأسماء المعاني مقصورة ممدودة" (٤٤) وفي كل نص يحاول السعيدي أن يستوحي الدلالة القرآنية لتعطي ظلالاً بعيداً في المعنى ، فعندما اقتبس النص القرآني "**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا**"(٤٥) وكأنه أراد التعبير عن الآمه المتشعبة، فهي كالسبع الطباق، فيقول: (٤٦).

بِهِ مِنْ ثَلْجِ مِحنْتِه اِحتراقُ/ تُطيقُ جُفُونه ما لا يُطَاقُ
فمِنْ أَحزانِه بَرٌ وبحرٌ / ومِنْ آلامِهِ سَبْعٌ طِبَاقُ

كأنَّ قيامةً فَرَأَى جَحِيماً/ له أَحْلامُهُ زُمَراً تُسَاقُ

ولأن الماء هو الذي يمنح الحياة ديمومتها ويجددها ويسعدها ويخرجها من دائرة الظلمات التي تعانيها، لا يتردد الشاعر عن ذكر نهر المدينة ، فالحزن على بلد تفترسه الحروب من كل جهة صار همَّاً دائماً لا يفارق الشاعر الذي يطمح في العيش الكريم .وعندما يريد الشاعر رثاء أحد أصدقاءه لا يتردد في استحضار الألفاظ القرآنية ليصهرها في نسيج خطابه الشعري، وإن لم يحافظ على صيغة النصوص كما هي، لكن بلا شك إن وعيه كان حاضراً وصاحبه أثناء تناصه القرآني، ليسهم في تنمية أفكاره وخياله الخصب ، وما يثيره من نواح جمالية تعمّق الأثر في النفس.

ويخاطب الشّاعر صديقه مستذكراً كيف قضى في سبيل وطن لم يعرف قيمته، ليبدو النص الشعري منصهراً مع قوله تعالى" **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى**" (٤٧)، فيقول: (٤٨).

يَا ابنَ أَبي
قَتَلَ النُّكْرَانُ
كُلَّ الأُمَّهاتِ فَلَنْ أُنادْيكَ بِأَسْمَائِهِنَّ
أُنَادِيكَ باسمِكَ
أَتْلُو عَلَيكَ
آياتٍ تَعْرِفُها
أَنْتَ وَحْدَكَ
سَبِّحَ اسمَ رَبِّكَ الأَعْلى
الذي خَلَقَ فَسَوَّاكَ
صَلاةً تَائِهةً

وخلاصة القول: إنَّ استلهام الشاعر ياس السعيدي لألفاظ القرآن وتراكيبه وللقصص القرآني يعكس تعاملاً واعياً ومدركاً لقيمة معاني النص المقدس، محاولاً الاستفادة منه في المواقف التي تعترضه، من خلال الربط بين قضايا القرآن الكريم والظروف العصيبة التي عاشها والحالات النفسية والشعورية التي تنتابه ، معززاً جانب الاعتبار والتآسي في المواقف التي كان يعرضها، وكذا المعاني التي يلجأ إليها.

الخاتمة

رصد البحث" تجليات المقدَّس الدِّيني في شعر ياس السعيدي" النصوص المقدسة الموظفة في النص الشعري وحاول الكشف عن جماليات التوظيف التي امتازت بها تقنية استدعاء النص المقدس في شعر السعيدي ، ونتج عنه ما يلي:

- اتخذت مسارات استدعاء النص المقدس عند الشاعر مسارات متعددة متناسبة مع رؤاه القومية ومواقفة السياسية من بعض القضايا، ومنبثقة في الوقت ذاته مما يؤمن به وما يعتقده، واظهرت تلك النصوص تفاعلاً بينه وبين المتلقي .
- تنوعت آليات الاستدعاء بين الآيات القرآنية وقصص الأنبياء والشخصيات والألفاظ المقدسة، وجميعها نجحت في التأثير على المتلقي وإثارة وجدانه
- لوحظ أن الشاعر كان حريصاً على نقد الواقع، عبر الاستدعاء المقدس، وكانت له متبنيات عقدية من بعض القضايا الخلافية
- تداخلت وتشابكت آليات الاستدعاء بين السور القرآنية وقصص الأنبياء والألفاظ المقدسة في النص الشعري الواحد، وغدت جميعها لوحة فسيفسائية جميلة وعلاقات اشارية متشابه داخل النص الواحد .
- شاع الترميز في نتاج الشاعر واضحى معادلاً موضوعياً لرؤاه الفكرية وقضاياه الوجدانية ومن الواضح أن الاستدعاء جاء نصياً في مجمل نصوصه، فيما جاء الاقتباس المضموني عبر قلب دلالتها أو تقديم مدلولاتها، في الجزء الآخر منها.
- نجح الشاعر في استحضار عدد من قصص الأنبياء ، وتماشى هذا الاستحضار مع حالته الوجدانية ومواقفة السياسية والعقدية، وتأثره الشخصي .
- نجح في إشراك المتلقي في العملية الإبداعية بفضل الدلالات المفتوحة لخطابه الشعري المتبنى، وكانت تناصاته مستوحاة من عمق شعري وانسجام جمالي.

الهوامش:

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تح: أحمد عبد الغفور عطار الناشر، دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤، ١٩٨٧ ، ج٥، ، ص٩٦٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيـــــروت ، ط٣ ، ج٦، ١٩٨٨، ص ٢٦٨.

(٣) سورة طه، الآية ١٢.

(٤) محمد الخباز، صورة الآخر في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣٦.

(٥) حيدر حب الله، المقدّس والدين؛ العلاقة الإيجابية والسلبيّة، مجلة نصوص معاصرة ، ٢٠٠٦، ص٨٥.

(٦) حصة عبد الله سعيد البادي ، التناص في الشعر العربي الحديث– البرغوثي نموذجا –، دار كنوز
المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٥٣.

(٧) سورة القصص، آية ٧

(٨) نبيله إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة، القاهرة،1974 ، ط٢، ص ٢٧.

(٩) الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٩٨.

(١٠) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٣٤٥

(١١) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص١٤٨

(١٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، ٣١٧

(١٣) الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٩٥

(١٤) ينظر الامام جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين ، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤، ط١، مج١، ص ٢٣٩.

(١٥) سورة يونس، آية ١٠

(١٦) الاعمال الشعرية الكاملة، ص٢٤٦

(١٧) صلاح فضل ، إنتاج الدلالة الأدبية– قراءة في الشعر والقص والمسرح، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ، 1993 ، ص ٤١.

(١٨) سورة النحل، آية ٧٠.

(١٩) الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٠٧.

(٢٠) ينظر: أحمد العياضي، تجليات المقدس الديني في الشعر الجزائري، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٣٤٧، ٢٠١٤.

(٢١) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٣١٥

(٢٢) الهادي عرجون، التناص القرآني، دراسة فنية، موقع ديوان العرب الالكتروني، ٢٠٢٠.

(٢٣) الصافات، أية ١٠٢

(٢٤) الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٦٦.

(٢٥) سورة النمل، آية ٢٠

(٢٦) الاعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٧٣

(٢٧) حصة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث – البرغوثي نموذجا، ص١١

(٢٨) سورة الشمس، آية ١١– ١٥.

(٢٩) الاعمال الشعرية الكاملة ، ٣٩٨.
(٣٠) سورة هود، آية ٣٦
(٣١) الاعمال الشعرية الكاملة ، ص٣٣٨
(٣٢) يوسف الخال، الحداثة في الشعر، د ط، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨، ص١٧
(٣٣) رجاء عيد ، لغة الشعر – قراءة في الشعر العربي المعاصر، مصر ، معارف الإسكندرية ، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٢٧.
(٣٤) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٨٦.
(٣٥) الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٢٠.
(٣٦) عبد الرحيم كردي، الراوي والنص القصصي، القاهرة، دار النشر للجامعات، ١٩٩٦، ط١، ص٦٥.
(٣٧) غاستون باشلار، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ج١، ص ٣٤.
(٣٨) الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٢١.
(٣٩) سورة لقمان، آية ١٨
(٤٠) الاعمال الشعرية الكاملة ، ص ٣٤٤
(٤١) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص٢٤٠.
(٤٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٠٧.
(٤٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ١٢٢.
(٤٤) الجاحظ، البيان والتبين، تح، عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥، ص ٧٦
(٤٥) سورة الملك، آية ٦٧
(٤٦) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٣١٩.
(٤٧) سورة الأعلى، آية ٢
(٤٨) الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٨٨

مكتبة البحث

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ج٦، ١٩٨٨.
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطار الناشر، دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤،ج٥، ١٩٨٧ .
- أحمد العياضي، تجليات المقدس الديني في الشعر الجزائري، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٣٤٧، ٢٠١٤.
- الجاحظ، البيان والتبين، تح، عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥.
- جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين ، دار الكتب العلمية، ط١، مج١، ٢٠٠٤.
- حصة عبد الله سعيد البادي ، التناص في الشعر العربي الحديث– البرغوثي نموذجا –، دار كنوز، ٢٠٠٨.
- حيدر حب الله، المقدّس والدين؛ العلاقة الإيجابية والسلبيّة، مجلة نصوص معاصرة ، ٢٠٠٦.

- رجاء عيد ، لغة الشعر- قراءة في الشعر العربي المعاصر، مصر ، معارف الإسكندرية ، ط١، ٢٠٠٣.
- صلاح فضل ، إنتاج الدلالة الأدبية - قراءة في الشعر والقص والمسرح، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ، 1993 .
- عبد الرحيم كردي، الراوي والنص القصصي، القاهرة، دار النشر للجامعات، ط١، ١٩٩٦.
- غاستون باشلار، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ج١، ٢٠٠٠.
- القرآن الكريم
- محمد الخباز، صورة الآخر في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٩.
- نبيله إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة، القاهرة، ط٢، 1974 .
- نداء علي يوسف، التناص في شعر محمد القيسي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين اشراف نادر جمعة قاسم، ٢٠١٢.
- الهادي عرجون، التناص القرآني، دراسة فنية، موقع ديوان العرب الالكتروني، ٢٠٢٠.
- ياس السعيدي، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات زين الحقوقية، بيروت ، ج١،٢٠١٩.
- يوسف الخال، الحداثة في الشعر، د ط، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨.